﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

أي : إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين ، من البعث والنَّشرِ ، والثواب والعقاب ، والحساب والميزان ، وغير ذلك مما أعدّ الله لخلقه يوم القيامة .

قال عبد الله ابن عباس ﷺ : ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ أي : بالبعث والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان [1] .

قال الشوكاني رحمه الله : (. . . الإيقان : إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه ، قاله في "الكشاف" . والمراد : أنهم يوقنون بالبعث والنشور وسائر أمور الآخرة من دون شكّ . والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الأول ، وهي صفة الدار كما في قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [2]) [3] .

وإنما سميت بالآخرة لأن الدنيا تسبقها ، وسميت الدنيا بالأولى ، ولأن تلك الدار إنما تأتي بعدها ، ولأنها هي خاتمة المطاف ، وآخر ما يكون في حياة الإنسان ، فسماها الله تبارك وتعالى لأجل ذلك بالآخرة وبالخاتمة : ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) تفسير ابن جرير ١/ ٢٥٢ .

(٢) القصص : ٨٣ .

(٣) (فتح القدير) (١/ ٩٢) ط . دار الوفاء ، و الكشاف (١/ ٤٢ ، ٤٣) .

ولا بد أن نتفهم معنى كلمة « اليقين » حتى نفهم معنى هذه الآية العظيمة ، لأنها مرتكزة على هذه الصفة ، وهي صفة : اليقين بالآخرة .

فاليقين صفة عظيمة من صفات المتقين ، ولا يمكن أن يكون المسلم متقياً لله تبارك وتعالى حتى تكتمل تقواه بيقينه بالله تبارك وتعالى ، فما هو هذا اليقين ؟ .

منزلة اليقين

قال ابن القيم رحمه الله : (ومنزلة اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد ، وبه تفاضل العارفون ، وفيه تنافس المتنافسون ، وإليه شمَّر العاملون ، وعَمَلُ القوم إنما كان عليه ، وإشاراتهم كلها إليه ، وإذا تزوج الصبر باليقين : ولد بينهما حصول الإمامة في الدين . قال الله تعالى ، وبقوله يهتدي المهتدون : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [1] .

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالانتفاع بالآيات والبراهين . فقال ، وهو أصدق القائلين : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ [2] .

وخصَّ سبحانه أهل اليقين بالهدى والفلاح من بين العالمين ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

---

(١) السجدة : ٢٤ .

(٢) الذاريات : ٢٠ .

(٣) البقرة : ٤ ـ ٥ .

وأخبر عن أهل النار : بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (١) .

فـ "اليقين" روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح ، وهو حقيقة الصِّدِّيقيَّة ، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره .

وروى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : (لا تُرضينَّ أحداً بسخط الله ، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله ، ولا تَذُمَّنَّ أحداً على ما لم يُؤتِك الله ، فإنَّ رزق الله لا يسوقه إليك حرصُ حريص ، ولا يردُّه عنك كراهية كاره ، وإنَّ الله بعدله وقسطه جَعَل الروح والفرح في الرضى واليقين ، وجعل الهمَّ والحزن في الشكِّ والسُّخْط) .

ومتى وصل "اليقين" إلى القلب امتلأ نوراً وإشراقاً ، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط ، وهَمٍّ وغَمٍّ . فامتلأ محبة لله وخوفاً منه ورضىً به ، وشكراً له ، وتوكُّلاً عليه ، وإنابةً إليه ، فهو مادة جميع المقامات والحامل لها . . . .

وقال ذو النُّون : اليقين يدعو إلى قِصَر الأمل ، وقِصَرُ الأمل يدعو إلى الزهد ، والزهد يُورث الحكمة ، وهي تورث النظر في العواقب .

---

(١) الجاثية : ٣٢ .

قال : وثلاثة من أعلام اليقين : قلة مخالطة الناس في العشرة ، وترك المدح لهم في العطية ، والتنزُّه عن ذمهم عند المنع . وثلاثة من أعلامه أيضاً : النظر إلى الله في كلِّ شيء ، والرجوع إليه في كل أمر ، والاستعانة به في كل حال .

وقال الجنيد : اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ، ولا يتغيَّر في القلب .

وقال ابن عطاء : على قدر قربهم من التقوى أدركوا من اليقين .

وقال أبو بكر الوراق : اليقين مِلاك القلب ، وبه كمال الإيمان ، وباليقين عُرف الله ، وبالعقل عُقل عن الله .

"واليقين" يحمله على الأهوال ، وركوب الأخطار ، وهو يأمر بالتقدم دائماً ، فإن لم يقارنه العلم : حمل على المعاطب .

"والعلم" يأمر بالتأخر والإحجام ، فإن لم يصحبه "اليقين" قعد بصاحبه عن المكاسب والغنائم والله أعلم) أ .هـ[1] بتصرف يسير .

إذاً اليقين هو قوة الإيمان بالله تبارك وتعالى ؛ قوة الإيمان الذي ليس فيه شك ، وليس فيه ريب ، بل هو قوي ثابت كالجبل الراسخ ، فهذا هو اليقين .

---

(١) " مدارج السالكين " (٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧) ط . دار الكتاب العربي ، بتصرف يسير .

ومنزلة اليقين من الإيمان كمنزلة الروح من الجسد ، فالإيمان جسد وروحه هو اليقين ، فبدون هذا اليقين لا يكون الإيمان كاملاً ؛ وباليقين تفاضل العارفون بالله ، وفيه تنافس المتنافسون .

واليقين شرط من شروط (لا إله إلا الله) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ ـ من حديث طويل ـ للنبي ﷺ وفيه : (ومن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة)[1].

واليقين أثره عظيم ، قال أبو عبد الله الأنطاكي : يسير اليقين يخرج كل الشك من القلب .

ولليقين مراتب :

ولليقين ثلاث مراتب : المرتبة الأولى : علم اليقين ، والمرتبة الثانية : عين اليقين ، والمرتبة الثالثة : حق اليقين ، وقد ذكر الله ﷻ لنا المرتبتين : الأولى والثانية في سورة التكاثر ، في قوله تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾[2] .

---

(١) رواه مسلم (٣١) .

(٢) التكاثر : ١ ـ ٧ .

فالأولى : علم اليقين ؛ وكأن الله تبارك وتعالى يقول لعباده : لو أنكم كنتم مؤمنين ، وكنتم على علم اليقين باليوم الآخر ، وبحساب الله وعقابه ؛ لما تكاثرتم بالأموال والأولاد ، ولما غرَّتكم الحياة الدنيا ؛ لو كان عندكم علم اليقين .

أما عين اليقين ؛ فهوقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ يعني جهنم والعياذ بالله ﷻ وهذا يقين ، فالإنسان إذا لم يرَ الشيءَ قد يكون موقناً ، وقد لا يكون موقناً ، فإما إذا رآه فهو موقنٌ به ، وهذا يقين معاينة ؛ عين اليقين ، رآها بعينه ، فإذا دخل فيها والعياذ بالله ﷻ إن كانت ناراً ، وإن دخل فيها إن كانت جنةً فهذا هو حق اليقين .

قال الله تبارك وتعالى في حق اليقين : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] سبحان ربي العظيم .

لما دخلوا فيها كان ذلك هو حق اليقين ، ولما رآوها كان ذلك هو عين اليقين ، وأما علم اليقين فلا يكون إلا للمؤمنين الذين يوقنون بالآخرة ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

---

(١) الواقعة : ٨٨ ـ ٩٦ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[1] .

ولمزيد إيضاحٍ لمراتب اليقين الثلاثة : نختصر كلاماً للإمام ابن القيم رحمه الله عن هذه المراتب فيقول رحمه الله [2] :

١ - **علم اليقين** ؛ قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [3] .

وتحته ثلاثة أشياء ؛ هي متعلق اليقين وأركانه :

الأول : " **قبول ما ظهر من الحق تعالى** " والذي ظهر منه سبحانه : أوامره ونواهيه وشرعه ، ودينه الذي ظهر لنا منه على ألسنة رسله ، فنتلقاه بالقبول والانقياد ، والإذعان والتسليم للربوبية ، والدخول تحت رقِّ العبودية .

الثاني : " **قَبول ما غاب للحق** " وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله ، والجنة والنار ، وما قبل ذلك : من الصِّراط والميزان والحساب ، وما قبل ذلك : من تشقُّق السماء وانفطارها ، وانتثار الكواكب ، ونسف الجبال ، وطيِّ العالم ، وما قبل ذلك : من أمور البرزخ ، ونعيمه وعذابه .

---

(١) الحاقة : ٤٨ ـ ٥٢ .

(٢) "مدارج السالكين" (٢ / ٣٧٨ ـ ٣٨١) ط . دار الكتاب العربي ؛ باختصار وتصرف يسير .

(٣) التكاثر : ٥ .

فقبول هذا كله ـ إيماناً وتصديقاً ـ هو اليقين ـ بحيث لا يخالج القلب فيه شُبهة ولا شك ولا تناسٍ ، ولا غفلة عنه ، فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه .

الثالث : "**الوقوف على ما قام بالحق**" سبحانه من أسمائه وصفات وأفعاله.

وهو علم التوحيد ، الذي أساسه : إثبات الأسماء والصفات .

فاليقين هو الوقوف على ماقام بالحق ّ من أسمائه وصفاته ، ونعوت كماله ، وتوحيده . وهذه الثلاثة أشرف علوم الخلائق : علم الأمر و النهي ، وعلم الأسماء والصفات والتوحيد ، وعلم المعاد واليوم الآخر . والله أعلم .

٢- **عين اليقين** ؛ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ (١) .

والفرق بين علم اليقين وعين اليقين : كالفرق بين الخبر الصادق والعيان . . وحق اليقين : فوق هذا .

وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك : أن عنده عسلاً ، وأنت لا تشك في صدقه ، ثم أراك إياه ، فازددت يقيناً ، ثم ذُقت منه .

فالأول : علم اليقين . والثاني : عين اليقين . والثالث : حق اليقين .

فعلمنا الآن بالجنة والنار : علم اليقين . فإذا أزفت الجنة في الموقف للمتَّقين ، وشاهدها الخلائق ، وبُرِّزت الحجيم للغاوين ، وعاينها الخلائق . فذلك : عين اليقين . فإذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار : فذلك حينئذ حق اليقين .

---

(١) التكاثر : ٧ .

٣- **حق اليقين** ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ (١) . وقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (٢) .

يقول ابن القيِّم رحمه الله : (اعلم أن هذه الدرجة لا تنال في هذا العالم إلا للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فإن نبيَّنا ﷺ رأى بعينه الجنة والنار ، وموسى عليه السلام سمع كلام الله منه إليه بلا واسطة ، وكلَّمه تكليماً ، وتجلَّى للجبل وموسى ينظر ، فجعله دكاً هشيماً .

نعم يحصل لنا حق اليقين من مرتبة ، وهي ذوق ما أخبر به الرسول ﷺ من حقائق الإيمان ، المتعلقة بالقلوب وأعمالها ؛ فإن القلب إذا باشرها وذاقها صارت في حقه حقَّ يقين .

وأما في أمور الآخرة والمعاد ، ورؤية الله جهرة عياناً ، وسماع كلامه حقيقة بلا واسطه ، فحظُّ المؤمن منه في هذه الدار : الإيمان ، وعلم اليقين . وحق اليقين : يتأخَّر إلى وقت اللقاء . . . .

وتأمَّل حال ذلك الصحابي الذي أخذ تمراته ، وقعد يأكلها على حاجة وجوع وفاقة إليها ، فلما عاين سوق الشهادة قامت ، ألقى قُوته من يده ، وقال :

---

(١) الواقعة : ٩٥ .

(٢) الحاقة : ٤٨ ـ ٥٢ .

" إنها لحياةٌ طويلة ، إن بقيت حتى آكل هذه التمرات " [1] وألقاها من يده ، وقَاتَل وقُتِل . وكذلك أحوال الصحابة ﷺ كانت مطابقة لما أشار إليه) [2] .

ومن معاني اليقين : الموت ؛ لأن الموت حق لاشك فيه ولا ريب ، لا يتغير ولا يحول ولا يزول ، أتى على البشر أجمعين ، لم يُبقِ منهم كبيراً ولا صغيراً ، ولا عظيماً ولا حقيراً ، ولا عالماً ولا جاهلاً ، ولا ذكراً ولا أنثى ، أتى عليهم كلهم ، فهو حق لا شك فيه ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [3] .

وقال جلا وعلا : ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴾ [4] .

والظن قد يأتي في القرآن الكريم بمعنى اليقين ، قال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [5] .

---

(١) هو عُمير بن الحُمام . والحديث أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد (٤٠٤٦) ، ومسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد (٣ / ١٥٠٩ رقم ١٨٩٩) ، والنسائي في الجهاد باب ثواب من قتل في سبيل الله ﷻ (٣١٥٤) عن جابر ﷺ . وليس فيه هذا القول "إنها لحياة طويلة .." .

(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٨٠ ، ٣٨١) ط .. دار الكتاب العربي .

(٣) الحجر : ٩٩ .

(٤) المدثر : ٤٣ ـ ٤٧ .

(٥) البقرة : ٤٥ ـ ٤٦ .

﴿ يَظُنُّونَ ﴾ يعني : يستيقنون ؛ لا شك في اعتقادهم هذا ، وظنهم هنا ليس معناه الاحتمال والشك ؛ لا ، وإنما بمعنى اليقين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ ﴾ يعني يستيقنون أنهم ملاقوا ربهم ، وإذا كان الإنسان مستيقناً بأنه سيلاقي الله لا بد أنه سيتهيأ ، ويستعد لذلك اللقاء العظيم الكبير .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[1] .

﴿ ظَنَنتُ ﴾ يعني تيقنت ، لم أكن في شك أنني سألقى هذا الجزاء ولذلك استعددت وعملت العمل الصالح .

وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، ﴿ أَلَا يَظُنُّ ﴾ أي : ألا يستيقنون .

ومن خصائص أهل اليقين : أنهم ينتفعون بآيات الله تبارك وتعالى ، يفهمونها ، ويستفيدون منها ، فيعملون بها ويدعون غيرهم إليها ؛ قال الله ﷻ : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) الحاقة : ١٩ ـ ٢٤ .

(٢) المطففين : ١ ـ ٦ .

(٣) الذاريات : ٢٠ .

فالموقن هو الذي يستفيد من هذه الآيات ، أما الذي ليس في قلبه يقين فلن يستفيد من هذه الآيات ، ولن ينصلح حاله والعياذ بالله ﷻ .

وخصَّ الله ﷻ أهل اليقين بالسعادة والفرح في الدنيا ، فقد رُوي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً : (لا تُرضينَّ أحداً بسخط الله ، ولا تحمدنَّ أحداً على فضل الله ، ولا تذمنَّ أحداً على مالم يؤتك الله ، فإنَّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كارهٍ ، وإن الله بعدله وقسطه جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ؛ وجعل الهم والحزن في الشك والسُّخط)[1] ؛ وفي رواية عن أبي سعيد : (إن من ضعفِ اليقين أن تُرضِيَ الناسَ بسخَطِ اللهِ تعالى ، وأن تحمدَهم على رزقِ الله تعالى ، وأن تذمَّهم على ما لم يُؤتِكَ الله تعالى ، إنَّ رزق الله لا يَجُرُّه إليك حرصُ حريص ، ولا يَرُدُّه كراهةُ كارهٍ ، وإن اللهَ بحكمته وجلاله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين ، وجعل الهمَّ والحَزَنَ في الشك والسَّخَطِ)[2] ؛ جعل السعادة والفرح والسرور والرضا والحياة الهانئة المطمئنة في ماذا ؟ في المال ! ، في الأولاد ! ، في الجاه ! ، في المنصب !! ؛ لا ! (في الرضا واليقين) .

---

(١) أورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ط. دار الفكر (٦٢٩١) في كتاب البيوع ، باب الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال فيه ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه خالد بن يزيد ، واتهم بالوضع .

(٢) رواه أبو نعيم في " الحيلة " ، والبيهقي في " شعب الإيمان " ، وضعفه الألباني في " ضعيف الجامع " (٢٠٠٩) ، و " الضعيفة " (٤٨٢) .

فمن كان من أهل اليقين فهو من أهل السعادة ، ومن كان من أهل الرضا فهو من أهل السعادة ، ومن كان من أهل السخط والعياذ بالله ﷻ ، والشك والتردد ؛ فهو من أهل التعاسة والشقاء نعوذ بالله ﷻ أن نكون منهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : بالصبر واليقين ، تنال الإمامة في الدين . وأخذ هذا من قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (١) .

صور لأهل اليقين :

وفيه أُشير إشارةً إلى نماذج لأهل اليقين ، وعلى رأسهم أنبياء الله جل وعلا ؛ مما يحدو النفس حدواً لسلوك طريقهم والسير على منوالهم . .

- **نبيُّ الله نوح** عليه السلام ؛ انظر إلى يقينه بربه يوم أن استجاب لأمره إياه بصناعة الفلك في صحراء جرداء ، لا ماء فيها إلا نزراً يسيراً ، مع سخرية قومه به وبما يصنع . . إذ كيف تسير هذه الفلك على غير ماء ؟!! كيف لها أن تَسبَحَ في صحراء ؟!! ثمَّ يقينه في استجابته لربِّه بالبراءة من ابنه يوم أن اختار الكفر على الإيمان : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ . . . ﴾ (٢) .

---

(١) السجدة : ٢٤ .

(٢) هود : ٤٦ .

- **نبيُّ الله إبراهيم خليل الرحمن** ﷺ ؛ وانظر إلى يقينه بربه لَّما ذهب وحطم أصنام قومه التي يعبدونها من دون الله ، وهو لا يزال شاباً يافعاً ؛ وقومه كلهم وأبوه معهم ضدُّه ؛ وهو بمفرده . . . لكن يقينه بالله ﷻ وثقته بنصره له دفعه إلى ذلك . . . ثم لَّما علم قومه بما فعل ، وأضرموا له النيران وقيَّدوه ليلقوه فيها ؛ مازاده ذلك إلا يقيناً بربه ، وثقةً بنصره ، وثباتاً على دعوته . . . فجعل الله عليه تلك النار برداً وسلاماً . . .

- ثم يترك زوجته هاجر ، ومعها ولده الرضيع إسماعيل عليه السلام في أرضٍ صحراءَ جرداءَ . . لا أهل فيها ولا ماءَ . . . ولا شيءَ مطلقاً . . . مَهْلَكَةً ، استجابةً لأمر ربِّه . . . ويقيناً بحفظه . .

- ثم تأمل **يقينَ هاجرَ عليها السلام** . . . عندما قالت له : ءآلله أمرك بهذا ؟ . . . فلما قال لها : نعم . قالت : إذاً لن يضيعنا .

- ثم يقينه عليه السلام في تنفيذ أمر ربِّه بذبح ولده الوحيد إسماعيل ، لَّما رأى في المنام أنه يذبحه .. ثم يقين ولده بالتسليم المطلق لذلك الأمر الإلهي العجيب ... وما كان من الله سبحانه ، ورحمته التي وسعت كل شيء إلا أن فداه بذبح عظيم .

- وغير ذلك كثير . . . وما هذه إلا أمثلة ليقين نبي الله إبراهيم ﷺ .

- **نبي الله أيوب** عليه السلام ، ويقينه في صبره على ما ابتلاه به ربه من المرض ، ثم لجؤوه إلى الله في أدبٍ جمّ ، وحياءٍ جميل . بقوله : ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (١) .

---

(١) الأنبياء : ٨٣ .

- **نبيُّ الله يونس** عليه السلام ، وانظر إلى يقينه بربه يوم أن التقمه الحوت ، وصار في ظلمات ثلاث . . . ولجأ إلى ربه . . وأيقن بأن الله حافظه ، فلهج بذكره واستغفاره ودعائه بقولـه :﴿ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

- **نبيُّ الله يوسف** عليه السلام ، ويقينه في مراحل عديدةٍ من قصته ومحنته . . . يـوم ألقاه إخوته في البئر . . .ويوم أن تمَّ بيعه كالعبيد وهو النبيُّ الكريم ابن الكريم ابن الكريم . . . ويوم أن أصبح غلاماً لعزيز مصر بعد أن كان حرّاً بين إخوتـه وأبويه . . . ويوم أن دُعي للفاحشة وأباها وفضّل السجن عليها . . . إلخ .

- **نبيُّ الله موسى** عليه السلام ، وكيف يقينه بربه في هربه من فرعون وقومه وذهابه إلى أرض مدين . . . ودعاؤه ربه : ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [2] .

وكذا في مواقف أخرى عديـدة في مواجهاتـه مـع فرعـون . . . ومنهـا موقـف السَّحرة يوم ألقى العصى ليقابل بها ثعابين السحرة ، وعنده يقين بالله أنه ناصره عليهم . . .

ويوم أن حوصر ومَنْ آمن معه بين البحـر وفرعـون . . . وقـالوا لـه : إنّـا لمدركون !! قال : ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [3] .

---

(١) الأنبياء : ٨٧ .

(٢) القصص : ٢٤ .

(٣) الشعراء : ٦٢ .

بل انظر إلى يقين سحرة فرعون لما خالط الإيمان قلوبهم . . . وأراد فرعون أن يصلبهم في جذوع النخل ، ويُقَطِّعَ أرجلهم وأيديهم من خلاف . . . .ما كان منهم إلا الثبات على الدين . . واليقين بالمغفرة والرحمة والرضوان في الآخرة بقولهم : ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (١) .

- **نبينا محمد** ﷺ ، خاتم الرسل وسيدهم وأفضلهم ، ومواقفه في اليقين تَجِلُّ عن الحصر . . ونذكر منها نزراً يسيراً . . كما فعلنا في ذكر بعض مواقف أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

ويقينه ﷺ فوق كل يقين . . ومن ذلك :

- يقينه يوم أن اجتمع من كل قبيلةٍ رجل ، وأجمعوا أمرهم على قتله ﷺ ، وانتظروه خارج بيته ، يرصدونه ، ويريدون بياته . . . فخرج عليهم رسول الله ﷺ ، وكله يقين بحفظ الله له ، وأخذ حَفْنةً من البطحاءِ ، فجعل يَذُرُّهُ على رؤوسهم ، وهم لا يرونه ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٢) . (٣) .

---

(١) طه : ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) يس : ٩ .

(٣) زاد المعاد (٣/ ٥١) ط . الرسالة .

- ثم يقينه في الغار يوم حوصِر ، ومعه أبو بكر ﷺ من قبل المشركين في غار حراء : ففي الصحيحين أن أبا بكر قال : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا فقال ﷺ : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ، لا تحزن فإن الله معنا)[1] وكان النبي ﷺ وأبو بكر يسمعان كلام المشركين فوق رؤوسهما ، ولكن الله جل وعلا عَمَّى عليهم أمرهما ، ورعاهما وحفظهما . . .

- ويقينه ﷺ يوم أن تبعهما سُراقة بن مالك في طريق الهجرة ، وأبو بكر يكثر الالتفات ؛ خوفاً على حياة النبيِّ ﷺ لا على حياته هو ؛ والنبيُّ ﷺ ثابت ثبات الجبال الرواسي لا يلتفت ؛ فقال أبو بكر ﷺ : يا رسول الله ! هذا سُراقة بن مالك قد رهَقَنا . فَدَعَا عليه رسول الله ﷺ . فَسَاخَت يدا فرسه في الأرض .

- ويقينه في غزوة بدر ؛ يومَ أن مشى رسول الله ﷺ في أرض المعركة ، وجعل يُشير بيده : هذا مَصْرع فلان ، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ؛ فما تعدَّى أحد منهم موضع إشارته [2].

- وكذا يوم لجأ إلى ربِّه ، ولهج لسانه بدعائِه ، وطلب المدد منه سبحانه ففي صحيح مسلم من حديث عمر قال : لما كان يوم بدر ، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد يديه ، فجعل يهتف بربه : (اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم

---

(١) رواه البخاري : (٧/ ٨ ، ٩) (في فضائل الصحابة) ، ومسلم (٢٣٨١) .

(٢) صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ (١٧٧٩) .

آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض) فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . .[1]

- وأخرج البخاري من حديث أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ يوم بدر : (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) ، فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك . فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[2] .[3] .

- ويقينه ﷺ لما خَذَلته يهودُ بني قُريظة ، ونقضوا عهده ، وتحالفوا مع المشركين لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه يوم الخندق ؛ فإنه ﷺ لما بلغه الخبرُ ، وأرسل ليستعلم الأمر ، ووجدهم قد نقضوا العهد ؛ عندها : كَبَّرَ النبي ﷺ وقال : (أبشروا يا معشر المسلمين) ... وما ذاك إلا لثقته ويقينه بربه ونصره لهم.

- وانظر إلى يقينه ﷺ في غزوة ذات الرقاع ؛ فعن جابرٍ ﷺ قال : كُنَّا إذا أتينا في سَفَر على شجرة ظليلةٍ تركناها لرسول الله ﷺ ، فلما كنا بذات الرقاع ، نزل نبيُّ الله تحت شجرةوعلقَ سيفه فيها ، فجاء رجلٌ من المشركين فأخذ السيف ، فاخترطه ، وقال للنبيِّ ﷺ : أتخافني ؟ قال : لا . قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ؛ ضع السيف . فوضعه)[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣) .

(٢) القمر : ٤٥ .

(٣) رواه البخاري (٣٩٥٣) باب : قصة غزوة بدر .

(٤) قوله اخترط السيف: أي استلَّه. والحديث رواه أحمد (١٤٩٢٨)، ومسلم (٨٤٣) في صلاة المسافرين.

هذه أمثلة يسيرة ليقين الأنبياء ...؛ وأما يقين غيرهم فمن ذلك :

يقين الغلام المؤمن والراهب وجليس الملك ؛ وكذا أصحاب الأخدود . . . وكيف كان ثباتهم على التعذيب والتحريق والقتل ؛ يقيناً منهم بموعود الله لهم بالجنة ، والعوض منه سبحانه في الآخرة .

وتأمل يقين تلك المرأة مع رضيعها ، يوم أن ترددتْ في إلقاء نفسها في النار ـ ليس شَكَّاً فيما هي عليه من الحق ؛ وإنما خوفاً على رضيعها ـ وكيف أن الله ثبتها بأن تكلم رضيعها بقدرته سبحانه وقال لها : تقدّمي يا أُمَّاه فإنك على الحق [1] .

ويقين آسية زوجة فرعون ؛ وماشطتها ومعها بناتها . . . وكيف تفنن المجرم الطاغية فرعون في تعذيبهم وإبادتهم . . . وهنَّ في ثبات الجبال الرواسي ، وما ذاك إلا يقيناً بوعد الله تعالى والجنة .

وأصحاب النبي ﷺ وكيف كان يقينهم وثباتهم .

انظر إلى **يقين أبي بكر** رضي الله عنه وإيمانه ؛ يوم وفاة النبي ﷺ ، وتخلخل الصفوف ، وذهول الأمة كلها ، واضطراب أمرها وارتداد أكثرها . . . إلخ .

كيف كان يقينه وثباته ، وكيف ثبت بثباته الأمة كلها ؛ ودحر الردة وأنصارها وحفظ الله به الدين ، وأقام به الملة .

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه (٣٠٠٥) من حديث صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه .

- **وهذا أبو العلاء الحضرمي** ﷺ وهم في حروب الردة ؛ يعترضهم البحر هو وجنوده معه ؛ فيرفع يديه إلى الله ويناجيه ، فيجعل الله تعالى له الماءَ كأنه أرضاً صلبةً فيمضي عليه هو وأصحابه ؛ وهذا من يقينه ﷺ بربه تعالى .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : (... ولا شك أن حمل الماء للناس من غير سفينة أعظم من السلوك عليه في السفينة ، وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفي قصة العلاء بن زياد ، صاحب رسول الله ﷺ ما يدل على ذلك ، روى منجاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا ، وملأت إداوتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا ، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيت إداوتي ، فرجعت إلى ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم ، فقال : يا علي يا حكيم ، إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك ، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا ، ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شيء) [1].

---

(١) " البداية والنهاية " (٦/ ٢٥٩) فصل : القول فيما أوتي نوح عليه السلام . ط. مكتبة المعارف .

- **ويقين أنس بن النضر** ﷺ ، والذي قاتل في أُحدٍ قتالاً عنيفاً حتى قُتل ؛ فما عرُفِ َ حتى عرفته أخته ببنانه ، وبه بضع وثمانون ، ما بين طعنة برُمح ، وضربةٍ بسيف ، ورمية بسهم .

فتأمَّل كيف كان يقينه وثباته ؛ حتى يحصل له كل ذلك قبل أن يموت : وتأمل قوله يوم انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ : اللهم إني أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء ـ يعني : المسلمون ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني : المشركون ـ ثم تقدَّم ؛ فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس : واهاً لريح الجنة يا سعد ، إني أجده دون أُحد ، ثم مضى [1] .

وفيه وفي أمثاله من أصحاب النبي ﷺ ورضوان الله عليهم جميعاً نزل قوله سبحانه : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [2] . [3] .

وهذا حنظلة ﷺ **غسيل الملائكة** ؛ تأمَّل كيف كان يقينه بأجر الشهادة في سبيل الله ، وعظم الجهاد حتى أنه يوم أن سمع الداعي ؛ يخرج من عند زوجته ! وهو لا يزال جُنباً !! ويقتحم أرض المعركة ؛ حتى يقتل قبل أن يغتسل غسل الجنابة ! فغسلته الملائكة الأبرار الكرام .

---

(١) رواه البخاري (٤٠٤٨) في "المغازي" ، ومسلم (١٩٠٣) .

(٢) الأحزاب : ٢٣ .

(٣) انظر "فتح الباري" (٧/ ٤١٢) .

وتأمل **يقين ذلك الصحابي** الذي لم تذكر لنا كتب السير اسمه ؛ وإنما ذكرت لنا موقفه وثباته ويقينه ، فعن شداد بن الهاد أن رجلاً من الأعراب جاء النبيَّ ﷺ ، فآمن به واتَّبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم الرسول ﷺ فيها شيئاً ، فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم لهم ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء ، دفعوه إليه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قَسَمَهُ لك رسول الله ﷺ فأخذه ، فجاء به إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : ما هذا ؟ قال : (قسمته لك) قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أُرمى إلى هاهنا ، وأشار إلى حلقه بسهم فأموت ، فأدخل الجنة . فقال ﷺ : (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأُتِيَ به النبيَّ ﷺ يُحمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : (أهو هو ؟) قالوا : نعم ، قال : (صَدَق الله ، فصدقه) ثم كفَّنه النبيُّ ﷺ في جُبَّة النبيِّ ﷺ ، ثم قدَّمه فصلَّى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته : (اللهم هذا عبدك ، خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) [1] .

(١) رواه النسائي (١٩٥٣) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٢٩١) والبيهقي (٤/ ١٥ ، ١٦) وقال محققا زاد المعاد ط . الرسالة (٣/ ٢١٤) : سنده صحيح ، وصحَّحه الحاكم (٣/ ٥٩٥ ، ٥٩٦) وأقرَّه الذهبي .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ ﴾

قال ابن كثير رحمه الله : (يقول الله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : أي المتَّصفون بما تقدم من الإيمان بالغيب ، وإقام الصلاة ، والإنفاق من الذي رزقهم الله ، والإيمان بما أُنزل إلى الرسول ومَنْ قبله من الرسل ، والإيقان بالدار الآخرة ، وهو يستلزم الاستعداد لها من العمل بالصالحات وترك المحرمات .

﴿ عَلَىٰ هُدًى ﴾ : أي نور وبيان وبصيرة من الله تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جُبير ، عن ابن عباس : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي : نور من ربهم ، واستقامة على ما جآءهم ، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ : أي الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوا من شرّ ما منه هربوا) [1] .

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٩) .

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله : (وتأويل قوله : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : أولئك هم المُنْجِحون المُدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكرُه ، بأعمالِهم وإيمانِهم بالله وكتبه ورسله ؛ من الفوز بالثواب ، والخلود في الجنان ، والنجاة مما أعدَّه الله تبارك وتعالى لأعدائِه من العقاب) [1] .

وقال القرطبي رحمه الله : (والفَلْحُ أصله في اللغة : الشق والقطع ؛ قال الشاعر : إنَّ الحديد بالحديد يُفْلَح أي : يشق ؛ ومنه : فلاحة الأرضين إنما هو شقّها للحرث ، قاله أبو عبيد ، ولذلك سُمِّيَ الأكَّارُ فلاحاً . ويقال للذي شُقَّتْ شفته السفلى أفلح ، وهو بَيّن الفَلَحة ، فكأن المفلح قد قطع المصاعب حتى نال مطلوبه . وقد يستعمل في الفوز والبقاء ، وهو أصله أيضاً في اللغة ، ومنه قول الرجل لامرأته : اْستفلِحِي بأمرك ، معناه فوزي بأمرك . . .

فمعنى ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ : أي : الفائزون بالجنة والباقون فيها . وقال ابن أبي إسحاق : المفلحون هم الذين أدركوا ما طلبوا ، ونجوْا من شر ما منه هربوا ، والمعنى واحد . وقد استعمل الفلاح في السحور ؛ ومنه الحديث : حتى كاد يفوتنا الفلاح مع رسول الله ﷺ . قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور . فكأنَّ معنى الحديث أن السحور به بقاء الصوم فلهذا سمّاه فلاحاً . والفلَّاح (بتشديد اللام) : المُكارِي في قول القائل :

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٥٦) .

لهـا رِطـلٌ تكيـلُ الزيـت فيـه وفـلّاحٌ يـسوق لهـا حمـارَا

ثم الفلاحُ في العرف : الظفر بالمطلوب ، والنجاة من المرهوب)[1] أ .هـ .

صفات المفلحين

وقد وردت نصوصٌ أخرى تذكر بعض صفات المفلحين ، أو تبين حالهم ومن ذلك ما يلي :

١ ـ من القرآن :

قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4] .

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٢٨) بتصرف يسير .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) الأعراف : ٨ .

(٤) الأعراف : ١٥٧ .

وقوله ﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٥).

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (٦).

---

(١) التوبة: ٨٨.

(٢) النور: ٥١.

(٣) الروم: ٣٨.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) الحشر: ٩.

(٦) التغابن: ١٦.

٢ ـ من السنة :

١ – عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال : جاءَ رجلٌ إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ، ثائر الرأس ، يُسمع دَوِيُّ صَوتِهِ ولا يُفْقَهُ ما يَقُولُ ، حتى دَنَا ، فإذا هو يَسْأَلُ عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : (خمس صلوات في اليوم والليلة) فَقَالَ : هَلْ عَليَّ غَيْرُهَا ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال رسول الله ﷺ : (وصيام رمضان) . قَالَ : هَلْ عَليَّ غَيْرُهُ ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال : وذَكَر لهُ رَسُول الله ﷺ الزَّكَاة ، قال : هَلْ عَليَّ غَيْرُهَا ؟ قال : (لا ، إلا أنْ تَطَوَّع) . قال : فَأَدْبَر الرَّجُلُ وَهُو يَقُول : والله لا أَزِيدُ عَلَى هَذَا ولا أَنْقُصُ ، قَالَ رسول الله ﷺ : (أَفْلَحَ إنْ صَدَقَ) [١] .

وفي رواية لهما : (دخل الجنة إن صَدَقَ) [٢] .

وفي رواية لمسلم : (أفلحَ ـ وأبيه ـ إن صَدَقَ) .

٢ – وعن حُرَيْثِ بنِ قبيصة ﷺ قال : قدِمتُ المدينة وقلت : اللهم ارزقني جليساً صالحاً ،قال : فجلست إلى أبي هريرة فقلت : إنِّي سألتُ الله أن يرزقني جليساً صالحاً ، فَحَدِّثْنِي بَحَدِيثٍ سَمِعتَهُ من رسول الله ﷺ لعل الله أن ينفعني به ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عَمَلِهِ صلاتُهُ ، فإن صلحتْ فقد أفلحَ وأنجح ، وإن فسدت فقد

---

(١) رواه البخاري (٤٦) ، ومسلم (١١) .

(٢) رواه البخاري (٦٩٥٦) .

خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته ، قال الله تعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع يكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك) [1] .

٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (قد أفلح من أسلم ، ورُزِقَ كفافاً وقنَّعَهُ الله بما آتاه) [2] .

٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليماً ، ولسانه صادقاً ، ونفسه مُطمئنة ، وخليقته مستقيمةً ، وجَعَل أُذُنَهُ مستَمِعَةً ، وعَينهُ ناظِرةً ، فأمَّا الأُذُنُ فَقِمْعٌ ، والعينُ مُقِرَّةٌ بما يُوعي القلبُ ، وقد أفلح من جعل قلبه واعياً) [3] .

٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه تزوَّج امرأةً من قريش فكان لا يأتيها كان يشغله الصومُ والصلاةُ ، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فقال : (صم من كل شهر ثلاثة أيام) ، قال : إنِّي أُطِيقُ أكثر من ذلك ، فما زال به حتى قال له : (صُمْ يوماً وأفْطِر يوماً) وقال له : (اقرأ القرآن في كل شهر) قال إني أُطِيقُ

---

(١) رواه الترمذي (٤١٣) وغيره ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب .

(٢) رواه مسلم (١٠٥٤) ، والترمذي (٢٣٤٩) وغيرهما .

(٣) رواه أحمد (٢١٣١٠) ، والبيهقي في " الشعب " (١٠٨) ، وقال المنذري في "الترغيب" (١٤) : وفي إسناد أحمد احتمال للتحسين ، وقال في "مجمع الزوائد" (١٠/ ٢٣٢) : إسناده حسن .

وقوله : " نفسه مطمئنة " أي : راضية بالأقضية الإلهية ، "وخليقته مستقيمة " أي : طريقته مستقيمة على الحق ومكارم الأخلاق ، " والعين مقرة " أي : خاضعة معترفة ، "يوعي القلبُ " أي : يحفظه متدبراً متعظاً متفكراً .

أكثر من ذلك، قال (اقرأه في كل خمس عشرة)، قال إني أُطيقُ أكثر من ذلك، قال : (اقرأه في كل سبع) ، حتى قال : (اقرأ في كل ثلاثٍ) ، وقال النبي ﷺ : (إن لكل عمل شِرَّةً ، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً ، فمن كانت فترتهُ إلى سنتي ، فقد أفلح ، ومن كانت فترتهُ إلى غير ذلك فقد هلك)[1] .

وفي تلك الآية التي نحن بصددها من أوائل البقرة ، إشارةٌ إلى أنَّ المتَّصفين بتلك الصفات الحميدة السابقة ، متميِّزون بذلك أكمل تميُّزٍ وأتمَّهُ ، وأعلاه وأوفاه متمكِّنون من أسباب الهداية كلَّ التمكن ، وتأمَّل ما في اسم الإشارة (**أولئك**) من البُعد ، ليدلك على علوِّ درجتهم ، وبُعدِ مرتبتهم في الفضل . فأولئك هم الفائزون وحدهم بما طلبوا ، الناجون وحدهم مما منه هربوا ، فهم أهل الفوز بالجنان ، والناجون برحمة ربهم وفضله من النيران . . أسأل الله أن يَمُنَّ عليَّ وعليكَ ـ أخي القاريء ـ بأن نكون منهم ، وأن يسلك ربنا بي وبك طريقهم ؛ وأن يجعلنا معهم في جنان الخلد وجوار الرب . آمين

---

(١) رواه أحمد في "المسند" (٦٧٦٤) ، ط . الرسالة ، وقال محققوه : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

والشِّرَّة : الحرص على الشيء والنشاط له . والفَترة : ضِدهُّ .